

النظريات الدلالية الحديثة:

تحديدا للإطار النظري العام لعلم الدلالة، سنعرض لبعض النظريات التي قدمت معايير أولية لمسألة المعنى وما تفرع عنها وسنقتصر في عرضنا على أهم معالم النظرية وقواعدها:

النظرية الإشارية:

تشكل هذه النظرية في مسار علم الدلالة الحديث أولى مراحل النظر العلمي في نظام اللغة، بل إلى أصحابها يرجع الفضل في تمييز أركان المعنى وعناصره، معتمدين في ذلك على النتائج التي توصل إليها فرديناند دي سوسير في أبحاثه اللسانية التي خص بها الإشارة اللغوية بوصفها (الوحدة اللغوية المتكونة من دال ومدلول، الدال هو الإدراك النفساني للكلمة الصوتية والمدلول هو الفكرة أو مجموعة الأفكار التي تقترب بالدال). وأن أصحاب هذه النظرية لا يكادون يجمعون على رأي واحد فإن أغلبهم يرى أن هذه النظرية تنظر إلى الدلالة على أنها هي مسماهما نفسه. أو (أن معنى الكلمة هو إشارتها إلى غير نفسها). إن الذي منح هذه النظرية الصبغة العلمية هما العالمان الإنجليزيان أوجدن وريتشاردز في كتابهما (معنى المعنى) اللذان اشتهرا بمثلثهما الذي يميز عناصر الدلالة. وأضلاع هذا المثلث عندهما تتمثل في (الرمز أو الدال) ثم (الفكرة أو المحتوى الذهني المدلول) وانتهاء إلى (المشار إليه أو الشيء الخارجي).

الفكرة أو المرجع

(المدلول)



المشار إليه (الخارجي)

إن هذا التقسيم المتميز للمعنى يعد خطوة جريئة في عصره، وأعطى للمبحث الدلالي نقساً جديداً سوف يتولد عنه نظريات جديدة وأفكار مهمة. إن الدراسات الدلالية التي اضطلع بها العلماء المتأخرون تدور كلها في فلك مثلث أوجدن وريتشاردز ذلك أنها تناولت في مباحثها أحد عناصر المثلث بتحليل عميق أو عنصرين اثنين، ومنها ما تناولت العناصر الثلاثة

كلها استناداً لما ذكرناه آنفاً أن (معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها) وهنا يوجد رأيان:

أ- رأي يرى أن معنى الكلمة هو ما تشير إليه.
ب- رأي يرى أن معنى الكلمة هو العلاقة بين التعبير وما يشير إليه.
فدراسة المعنى على الرأي الأول تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبيين من المثلث وهما جانباً الرمز والمشار إليه. وعلى الرأي الثاني تتطلب دراسة الجوانب الثلاثة لأن الوصول إلى المشار إليه يكون عن طريق الفكرة أو الصورة الذهنية. ويقول أصحاب هذه النظرية إن المشار إليه لا يجب أن يكون شيئاً محسوساً ملموساً كالمنضدة والقلم والسيارة، فقد يكون كيفية كاللون مثلاً (ازرق) أو يكون حدثاً (كالنجاح) أو شيئاً معنوياً (كالحب والكره).

وعلى أساس هذا التقسيم المثلثي نشأت نظريات المدلول التي تناولت أنواع الدلالة وأقسامها، كما برزت نظريات عكفت على دراسة الإشارة اللغوية وأحصت أقسامها، وفي إطارها نشأت فكرة العلامة أو السمة مما ساهم في ميلاد علم جديد هو علم العلامات أو السيميولوجيا. وأهم مبحث شكل عقبة كأداء أمام علم الدلالة هو دراسة الصورة الذهنية التي تتميز بالتجريد، مما فتح المجال واسعاً أمام الباحثين في اكتناه عوالم خفية أطلق عليها بعضهم "عالم المفاهيم" وسموها بعضهم الآخر "العوالم الدلالية"، التي تمثل إحدى الدعائم الرئيسة في نظرية الأوضاع التي تشكل الامتداد الطبيعي للنظرية الإشارية. إن مصدر الدلالة كما ترمي إلى ذلك نظرية الأوضاع - يكمن بالأساس في المراجع الموجودة في العالم الخارجي وتبرز دلالة ما لصيغة معينة عبر مجموع العلائق المتشابهة بين جملة الأوضاع يقول الدكتور الفاسي الفهري:

"المكان الطبيعي للمعنى هو العالم الخارجي لأن المعنى يبرز في العلائق المطردة بين الأوضاع، والمعنى اللغوي يجب أن ينظر إليه في إطار هذه الصورة العامة للعالم، عالم مليء بالمعلومات وأجسام

موفقة لالتقاط جزء من هذه المعلومات". وحقيقة أن الدلالة لا يتم التعرف عليها معجماً وإنما مروراً برصد جملة العلائق التي تحددها الأوضاع في العالم الخارجي، إذن "الفكرة الرائدة في دلالة الأوضاع هي أن معنى جملة يتحدد بعلاقة الكلام والوضع الموصوف". وتدعيماً للنظرية الإشارية التي حصل توسع في مفهومها لاحظ العالم اللغوي بولتمن (أن عالم المفاهيم المُودع في العالم الخارجي أضخم بكثير مما هو في الرأس فالمفاهيم هي الأساس الذي انبنت عليه نظرية الأوضاع التي تنتظر إلى المعنى أنه علاقة بين الكلام المنتج والأوضاع الموصوفة، وهذه النظرية تركز كذلك على الدلالة الخارجية للغة وانصهار المعلومات اللغوية بضمن التيار المعلوماتي، وما دفع إلى القول بذلك، أن المعنى لا يتموضع في العالم الخارجي ولا في النفس وإنما يتموضع في عالم المفاهيم) كما ذهب إلى ذلك العالم اللغوي فريجة، الذي عدَّ المفاهيم هي الوسيط الذي يربط العناصر الثلاثة: الأذهان تمسك بالمفاهيم، والكلمات تعبر عنها، والأشياء يحل عليها بواسطتها.

اعترض على هذه النظرية:

- ١- أنها تدرس الظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة.
 - ٢- أنها تقوم على أساس دراسة الموجودات الخارجية (المشار اليه) وهي شيء غير لغوي.
 - ٣- أنها لا تتضمن كلمات مثل (لا والى ولكن وأو وهي الأدوات والحروف...) من الكلمات التي ليس لها معانٍ إلا مع غيرها.
- أن معنى الشيء غير ذاته فكلمة تفاحة ليس هو التفاحة التي تؤكل أو تحفظ أو تفسد... وإنما المعنى التصويري للتفاحة .

النظرية التصورية:

إن هذه النظرية تمثل مستوى آخر من مستويات الدراسة الدلالية، فإذا كانت النظرية الإشارية قد عكفت على دراسة الإشارة أساساً للولوج إلى دراسة ما يتعلق بها من عناصر المعنى، فإن النظرية التصورية تركز على مبدأ التصور الذي يمثله المعنى الموجود في الذهن، وإذا أردنا أن نقف على جذور هذه النظرية فإننا نلجها تعود إلى الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك في القرن السابع عشر) الذي سماها (النظرية العقلية) ونادى فيها بأن (استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار. والأفكار التي تمثلها تعد مغزاها المباشر الخاص).

وقد أطلق بعض الباحثين على هذه النظرية اسم النظرية الفكرية لأن (الكلمة تشير إلى فكرة في الذهن وأن هذه الفكرة هي معنى الكلمة)، ونتيجة للطابع التجريدي الذي وسم النظرية التصورية، فإن العلماء المتأخرين أسسوا أفكارهم على معطيات حسية تقع تحت الملاحظة والمشاهدة، وأرجعوا الدلالات كلها إلى تلك التصورات التي تحقق الأثر العلمي، وهذه الفكرة قريبة من فكرة النظرية السلوكية التي تنبني على مبدأ المنبه والاستجابة - كما سنرى - إلا أن تحديد مرجعية الآثار إلى التصورات الذهنية، تلحق تلك الفكرة بالنظرية التصورية. لقد أسس تشارلز بيرس نظريته البراجماتية واعتبرت امتداداً للنظرية التصورية: "رأى بيرس أن تصورنا لشيء ما يتألف من تصورنا لآثاره العملية، فالتيار الكهربائي مثلاً لا يعني مرور موجة غير مرئية في مادة ما، وإنما يعني مجموعة من الوقائع مثل إمكان شحن مولد كهربائي أو أن يدق جرس، وأن تدور الآلة، وإذن فمعنى كهرباء هو ما تفعله، وإذن فالتصورات المختلفة التي تحقق نتيجة عملية واحدة إنما هي تصور واحد أو معنى واحد، والتصورات التي لا ينتج عنها آثار لا معنى لها.

إن عالم الأفكار عالم مستقل بذاته فالدلالات واحدة في جميع اللغات وإنما الاختلاف أتى من تباين الألسنة، وذهب علماء الألسنية المحدثون إلى افتراض وجود عوالم دلالية يجب البحث عن معالمها وسننها بناء على البنية الدلالية حتى أن اللغويين المتأخرين عدّوا التصورات والأفكار كيانات

مستقلاً قد يستغني عن اللغة إذا أراد الأفراد ذلك يقول د. أحمد مختار عمر: (الأفكار التي تدور في أذهاننا تملك وجوداً مستقلاً. ووظيفة مستقلة عن اللغة وإذا قنع كل منا بالاحتفاظ بأفكاره لنفسه كان من الممكن الاستغناء عن اللغة).

وما دامت النظرية التصورية تعد المعنى هو التصور الذي يحمله المتكلم ويحصل للسامع حتى يتم التواصل والإبلاغ، فإن عالم الأشياء غير متجانس، كما أن التصورات متباينة من فرد لآخر، فتصور "شجرة" مثلاً، يحمل جملة من الدلالات المختلفة اختلافاً قد يكثر أو يقل بحسب وجود هذا التصور داخل عالم الأشياء، وأن هناك كلمات لا تحمل تصوراً لأنها لا تنتمي إلى عالم الأشياء كالأدوات والحروف وما إلى ذلك. (وقد كان رفض النظرية التصورية، للمآخذ التي ذكرنا، وغيرها، هو المنطلق لمعظم المناهج الحديثة التي ظهرت خلال هذا القرن). وهو ما سيتضح في نظريات أكثر موضوعية وعلمية.

تقتضي النظرية التصورية أن يكون لكل معنى لغوي أو تعبير لغوي فكرة وهذه الفكرة تتطلب أن :

- ١- تكون حاضرة في ذهن المتكلم والسامع
- ٢- يكون المتكلم قادراً على إنتاج التعبير الذي يجعل الجمهور يدرك أن الفكرة المعينة موجودة في عقله أثناء وقت التكلم.
- ٣- التعبير الذي يطلقه المتكلم يجب أن يستدعي الفكرة نفسها في ذهن السامع.

المآخذ على هذه النظرية:

- ١- تركز هذه النظرية التصورية على الأفكار والتصورات الموجودة في عقول المتكلمين والسامعين فإذا كان هناك اختلاف في التصور لشيء معين كيف سيكون هناك تواصل ودلالة؟ كما لو أنك أردت التواصل مع مواطن عربي وتختلف تصوراتهم للأشياء اختلفت دلالة الكلمات وصعب التواصل بينهم.

٢- المأخذ الآخر هناك كلمات ليس لها تصورات في الذهن لأنها ليس أفعالاً ولا أسماء ونقصد بها الحروف والأدوات التي لا تملك معنى إلا مع غيرها.

النظرية السلوكية :

إن التجديد الذي طبع النظرية التصورية أدى إلى نشأة اتجاه آخر في البحث الدلالي، يستبعد الأفكار المجردة، وتمثل في النظرية السلوكية، وقد خضع أصحاب هذه النظرية للمنحى العلمي الذي طغى على ساحة البحث وقتذاك. وهو منحى يركز على الملاحظة والمشاهدة، فقد ولّى عهد العلوم التجريدية النظرية، وأعطت هذه النظرية السلوكية اهتماماً للجانب الممكن ملاحظته علانية وهي بهذا تخالف النظرية التصورية التي تركز على الفكرة أو التصور. (تركز النظرية السلوكية على ما يستلزمه استعمال اللغة في الاتصال، وتعطي اهتماماً للجانب الممكن ملاحظته علانية وهي بهذا تخالف النظرية التصورية التي تركز على الفكر أو التصور.) سيطر الاتجاه السلوكي على حقل السيكلوجيا الأمريكية مدة طويلة، وتركت السلوكية بصماتها ونفوذها على تشكيل بعض الاتجاهات الأساسية في علم الدلالة. ، لذلك صارت اليوم أقل قبولا مما كانت عليه منذ ١٩٧٠م. إن البحث عن ماهية الدلالة وآلية حصونها أدى بالعالم اللغوي الأمريكي (بلو مفيلد) إلى هجر الاتجاه العقلي والبحث عن الدلالة في السلوك اللغوي الظاهر، وبعد تحقق الأفكار التي مال إليها بلومفيلد تجلّى الاتجاه السلوكي لدى هذا العالم وقد عرّف معنى الصيغة اللغوية بأنه (الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع فعن طريق نطق صيغة لغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف. هذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة). أي هناك مثير استدعى الكلام وهناك استجابة فهمت من هذا المثير. والقول بمبدأ المثير والاستجابة يستدعي الأخذ كذلك بالمقام الذي حصل فيه الحدث الكلامي، ولكي يتم تحديد دلالة صيغة لغوية تحديداً دقيقاً وجب حصر جميع المقامات التي صاحبت استعمال الصيغة في الحدث الكلامي، ومعرفة شاملة لكل ما يشكل عالم المتكلم: (دلالة صيغة لغوية ما إنما هي المقام الذي يفصح فيه

المتكلم عن هذه الدلالة والرد اللغوي أو السلوكي الذي يصدر عن المخاطب) لأن المقام هو المميز بين الإمكانات المتعددة للدلالة خاصة وإن الصيغة اللغوية قد أخذت أبعاداً اجتماعية وثقافية، وتعلقت بها قيم أسلوبية وتعبيرية مما يعيق التواصل والإبلاغ، وتداخل المعنى الرئيس والهامشي، ولذا فالأخذ بالعلاقة المتينة بين القول والمقام سوف يزيل كثيراً من اللبس في الأحداث الكلامية، إذ إن اللجوء إلى المقام أو حال الخطاب يساعد على الخصوص في:

- 1- استكشاف مرجع الصيغ اللغوية للقول.
- 2- اختيار وإيثار تأويل بعينه في حالة الكلام الملبس أو المبهم.
- 3- استكشاف قيمة القول تهديد، وعد، وعيد
- 4- تحديد خاصة أهو موسوم أو غير موسوم؟

والحقيقة أن النظرية السلوكية بقدر ما كشفت عن عوالم خفية ودفعت بالبحث الدلالي خطوات نحو الأمام، فتحت أبواباً عن عوالم أخرى بقيت خفية، ذلك أن الأخذ بمبدأ دراسة الأفعال الكلامية القابلة للملاحظة والمشاهدة، لم يقدم الأجوبة الكافية عن تلك التساؤلات حول ضبط دلالة الصيغة اللغوية ضبطاً يخضع لمعايير علمية دقيقة تنسحب على كل الصيغ والتراكيب اللغوية، فتكون المعنى الديناميكي الذي لا يأخذ صورة ثابتة، شكّل أهم العوائق أمام (نظرية بلومفيلد السلوكية)، وقد تطورت هذه النظرية على يد الفيلسوف الأمريكي (شارل موريس)، الذي لاحظ أنه قد تتعدد الاستجابات لمثير واحد، يعني اشتراك دلالات في صيغة لغوية واحدة، وذلك أن المنطوق قد يحمل قيمة أسلوبية ومعاني حافة يتولد عنها استجابات متنوعة، وقد أخرج موريس من معنى الصيغة، الاستجابة أو رد الفعل، واكتفى بمجرد الميل أو الرغبة"، ويعني ذلك أنه إذا وجد ميل أو رغبة صريحة للقيام باستجابة معينة لمثير منطوق لغوي فهذا دلالة على وجود ارتباط يجعل الاستجابة تكون لذلك المثير، وهذا الارتباط بمثابة الاشتراط.

وبرغم هذا التطور الحاصل في النظرية السلوكية، بلجوء موريس إلى فكرة الميل أو المزاج، فإنه وجدت تراكيب وعبارات لغوية لا تخضع لمعايير هذه النظرية. وبالتالي وجدت فجوات علمية واضحة لم تستطع النظرية السلوكية سدها، مما عجل بميلاد اتجاه آخر في الدرس الدلالي حاول الإجابة عن التساؤلات المطروحة حول تحديد علمي موضوعي دقيق للدلالة وطرائق ضبطها..

لقد قدم بلومفيلد مثالا لفهم الدلالة سلوكيا تمثل في (جاك وجيل) صديقان يسيران في طريق شعرت جيل بالجوع حين رأت تفاحة على شجرة فكان ذلك مثيرا لها لتطلب من جاك إحضارها. فجوع جيل يمثل (المثير) وبدلاً من استجابتها لهذا المثير بتسلق الشجرة للحصول على التفاحة عملت استجابة بديلة تمثلت في الطلب

من جاك بمنطوق كلامي ان يقوم بذلك مثل المنطوق (المثير البديل) فاستجابة جاك لطلبها مثل كانت (الاستجابة) للمثير نفسه (الجوع) لو أنه شعر به.

أهم الاعتراضات على النظرية السلوكية:

- ١- اذا كان موقف شعور جيل بالجوع تمثل في في أحاسيس داخلية لديها فكثير من المواقف الكلامية لا يمكن أن تقدم الإحساس نفسه.
 - ٢- لو أن (جاك) رفض جلب التفاحة وقال ل(جيل) إنك غير جائعة لأننا تناولنا طعامنا قبل قليل، أو أنها تسبب لك عسر هضم ستكون الاستجابة مختلفة، وهذا يعني أن الاستجابة للمنطوق الكلامي ليست ثابتة بل متغيرة بحسب الموقف.
 - ٣- لا يمكن للنظرية السلوكية أن توفر ملامح مشتركة خاصة بكل الملفوظات وكل المواقف التي تستعمل فيها المنطوقات.
 - ٤- هذه النظرية قامت على أساس تجارب سلوكية أجريت على الحيوان ثم نقلت النتائج الى الإنسان، وهذا خطأ كبير فما ينطبق على الحيوان لا ينطبق على الإنسان.
- من هنا قدم جارس مورييس تطويرا للنظرية السلوكية، اذ استبعد الاستجابة ورد الفعل من ارتباطها بمعنى الصيغة وطرح نظرية (الميل أو الرغبة). ولكن هذه النظرية فشلت أيضا لأن الميل والرغبة غير ثابتين أيضا مع معظم الكلمات فلا يمكن الحصول على دلالات معروفة للمنطوقات لاختلاف الميول.

النظرية السياقية:

إن نظام اللغة نظام متشابك العلاقات بين وحداته، ومفتوح دوماً على التجديد والتغيير في بنياته المعجمية والتركيبية، حتى غدا تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموع السياقات التي ترد فيها، وهذا ما نادى به النظرية السياقية التي ارتبطت بالبريطاني (فيرث) وعرفت ب(مدرسة لندن السياقية) التي نفت عن الصيغة اللغوية دلالتها المعجمية، يقول مارتيني: (خارج السياق لا تتوفر الكلمة على المعنى). إن منهج النظرية السياقية يعد من المناهج الأكثر موضوعية ومقاربة للدلالة، ذلك أنه يقدم نموذجاً فعلياً لتحديد دلالة الصيغ اللغوية، وقد تبني كثير من علماء اللغة هذا المنهج منهم العالم (وتغنشتين) الذي صرح قائلاً: (لا تفتش عن معنى الكلمة وإنما عن الطريقة التي تستعمل فيها) إن هذه الطريقة التي تستعمل

ففيها الكلمة هي التي تصنف دلالة هذه الكلمة بضمن الدلالة الرئيسة التي تتحدد معها الصور الأسلوبية، لأن السياق يحمل حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها الباحث. يقول ستيفن أولمن: (السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف أو أنها قصد بها أساساً التعبير عن العواطف والانفعالات). لقد حصل تطور مهم في مفهوم السياق إذ لم يعد يقتصر على الجانب اللغوي في إيضاح دلالة الصيغة اللغوية، وإنما وجدت جوانب أخرى قد تنحسم معها الدلالة المقصودة للكلمة، كالوضع والمقام الذي يحدث فيه التواصل أو الملامح الفيزيولوجية النفسية للمتكلم التي تصاحبه. إن معنى الكلمة عند أصحاب هذه المدرسة هو (استعمالها في اللغة) أو (هو الطريقة التي تستعمل بها) أو (الدور الذي تؤديه) ولذلك يصرح فيرث صاحب هذه النظرية (أن المعنى لا ينكشف إلا بتسبيق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات متعددة). إن تعدد المفاهيم التي يدل عليها اللفظ تعني أن هذا اللفظ له معنى مركزي هو "النواة"، ومعان هامشية ثانوية اكتسبها بفعل دورانه المتجدد في أنساق كلامية مختلفة، حتى أضحي المعنى المركزي يدور في فلك المعاني الثانوية التي لا تفاضل بينهما وأصبح طريق رفع اللبس في الدلالة يمر عبر السياق اللغوي أو الخطابى أو معاينة المقام الذي يتمثل في المعطيات الخارجية والنفسية. وتبعاً لذلك فإن دلالة الكلمة تتعدد بتعدد السياقات وتنوعها أي تبعاً لتوزعها اللغوي وقد توصل العلماء إلى تمييز بين أربعة أنواع من السياق:

١ - السياق اللغوي. ٢ - السياق العاطفي الانفعالي.

٣ - سياق الموقف أو المقام. ٤ - السياق الثقافي أو الاجتماعي.

١ - السياق اللغوي:

فالسباق اللغوي يشرف على تغيير دلالة الكلمة تبعاً لتغيير يمس التركيب اللغوي، أو الكلمات التي تصاحب كلمة ما، مثل كلمة (جيد) يختلف معناها

باختلاف سياقها اللغوي: (طبيب جيد) = ماهر، (طعام جيد) = مفيد وغير سيء، (سيارة جيدة) = حديثة ومواصفاتها حسنة. فيختلف معناها مع الأشخاص عن الأشياء المؤقتة عن الجمادات غير العاقلة وهكذا.

٢ - السياق العاطفي الانفعالي.

أما السياق العاطفي الانفعالي فهو يحدد دلالة الصيغة أو التركيب من معيار قوة أو ضعف الانفعال، فبالرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى أن دلالتها تختلف، مثل ذلك الفرق بين دلالة الكلمتين: (يحب ويرغب) أو (اغتيال وقتل)، بالإضافة إلى القيم الاجتماعية التي تحددها الكلمتان فهناك إشارة إلى درجة العاطفة والانفعال الذي تصاحب الفعل، فإذا كان الأول يدل على أن المقتول ذو مكانة اجتماعية عالية، وأن الاغتيال كان لدوافع سياسية، فإن الفعل الثاني يحمل دلالات مختلفة عن الأول وهي دلالات تشير إلى أن القتل قد يكون بوحشية وأن آلة القتل قد تختلف عن آلة الاغتيال فضلاً على أن المقتول لا يتمتع بمكانة اجتماعية عالية..

٣ - سياق الموقف أو المقام:

وهو الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة فتتغير دلالتها تبعاً لتغير الموقف أو المقام وقد أطلق اللغويون على هذه الدلالة مصطلح "الدلالة المقامية" .. فإذا مات شخص نقول (الله يرحمه) بتقديم لفظ الجلالة الله، وإذا عطس شخص نقول (يرحمكم الله) بتقديم فعل الرحمة.

٤ - السياق الثقافي:

وهي القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة، إذ تأخذ ضمنه دلالة معينة. وقد أشار علماء اللغة إلى ضرورة وجود هذه المرجعية الثقافية عند أهل اللغة الواحدة لكي يتم التواصل والإبلاغ، وتخضع القيم الثقافية للطابع الخصوصي الذي يلون كل نظام لغوي بسمه ثقافية معينة وهو ما يكون أحد العوائق الموضوعية في تعلم اللغات... فالمواقف الثقافية تفرض عليك أن تقول عقيلة الرئيس وفي موقف آخر زوجة الرجل وفي موقف ريفي

حرمة الرجل وهكذا. وكلمة (جذر) تعني عند الفلاح شيئاً وعند المعجمي شيئاً وعند الرياضي شيئاً آخر.

وتعتبر النظرية السياقية بنموذجها النظري التطبيقي من النظريات العملية الأكثر تعلقاً بالنظام اللغوي، بل إنها بطريقتها الإجرائية في تحديد جملة السياقات وما يصاحبها من العوامل الخارجية كالمقام والحال تعد بذلك مرحلة تمهيدية مهمة بالنسبة للنظرية التحليلية حيث (يرى أولمن أنه بعد أن يجمع المعجمي عدداً من السياقات المتمثلة التي ترد فيها كلمة معينة، وحينما يتوقف أي جمع آخر للسياقات عن إعطاء أي معلومات جديدة، يأتي الجانب العملي إلى نهايته، ويصبح المجال مفتوحاً أمام المنهج التحليلي). لقد تأثر المنهج السياقي بالمنهج الاجتماعي وكان للمنحى الاجتماعي أثر كبير في تحديد دلالة الكلمات عبر معرفة المواقف الاجتماعية للمتخاطبين واتفاقهم على فهم دلالات الكلمات بناء على دلالاتها الاجتماعية من هنا صرح فيرث تأثره بالأنثروبولوجي الاجتماعي البولندي (مالينوفسكي).

كان آخر ما توصل إليه علماء اللغة في إطار النظرية السياقية هو فكرة "الرصف"، وهو يعني مراعاة وقوع الكلمات مجاورة لبعضها حيث يعد هذا الوقوع أحد معايير تحديد دلالة الكلمة. إن تسييق الصيغة اللغوية يعد المنفذ المهم لتحديد مجالها الدلالي، فلا يمكن أن ترد الصيغة اللغوية بمعزل عن السياق النفسي أو الاجتماعي الثقافي، بل يحصل التجاور بين مجموع الصيغ اللغوية داخل التركيب وهو ما يمكن التعبير عنه بمصطلح "النظم"، كما سماه قديماً عبد القاهر الجرجاني في كتابه: "دلائل الإعجاز" .. وقد عدّ فيرث قائمة الكلمات المترافقة مع كل كلمة جزءاً من معناها، بحيث يستدعي حضور كلمة ما حضور سلسلة من الكلمات التي تتراصف معها سياقياً وتتوافق معها في الوقوع.

أهم مميزات المنهج السياقي:

- ١- يجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة وتحليل السياقات المتعددة للكلمة.

٢- لم يخرج في تحليله اللغوي عن دائرة اللغة.

أما أهم الاعتراضات على النظرية السياقية:

١- لم يقدم فيرث نظرية شاملة للتركيب اللغوي واكتفى بتقديم نظرية للسيمانتك (علم الدلالة)

٢- لم يكن مصطلح السياق محددًا عند فيرث مع أهميته، وكان حديثه عن الموقف الذي تجري فيه الأحداث المؤثرة في الكلمات غامضًا، وقد بالغ في إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق في الكشف عن المعنى.

هناك من اهتم بالسياق اللغوي (الرصف اللغوي) وعده عنصرًا مهمًا في الكشف عن الدلالات وبالرغم من ارتباطه بنظرية السياق وعده امتدادًا لها هناك من عده نظرية مستقلة منهم أولمان سماها (نظرية الرصف اللغوي). والرصف اللغوي هو ارتباط وحدتين كلاميتين مختلفتين أحدهما بالآخرى مثل : اشتعلت النار او فاض النهر او الحرب خدعه او اكل طعاما وهكذا .

نظرية الحقول الدلالية:

ظهرت فكرة الحقول الدلالية في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين على يد علماء سويسريين وألمانيين. والحقل الدلالي أو الحقل المعجمي هو (مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع تحت لفظ عام يجمعها) مثل (حقل الألوان ويضم الأحمر والأزرق والأبيض والأصفر والأسود...) وهكذا ومثل (حقل الأسرة والقرابة ويضم الأب والأم والوالد والوالدة والابن والابنة والأولاد والأسباط والأحفاد والعم والعمة والخال والخالة والجد....) وهكذا. فيقصد بالحقل الدلالي هو مجموعة من الكلمات التي تنضوي تحت عنوان جامع لها ، أي إن هذه الكلمات تنتمي إلى مصطلح عام شامل تنخرط تحته مجموعة من الكلمات ، ويعرفه أولمان هو (قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة). ولا بد أن تكون هناك علاقات بين الكلمات التي تنتمي إلى حقل دلالي ما؛ ذلك أن أساس جمع هذه الكلمات بضمن صنف محدد يعني أن بينها ترابطاً أو علاقةً من العلاقات المتعددة ، بل إن معنى الكلمة ضمن الحقل

الواحد لا يظهر إلا بالنظر إلى المفردات الأخرى التي معها ؛ لذا نجد ليونز يعرف معنى الكلمة بأنه (محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي). ولم تكن هذه العلاقات بين الألفاظ داخل الحقل الدلالي هي الوسيلة الوحيدة لكشف دلالة المفردة ، بل يعمل السياق أيضاً " على تحديد دلالة الكلمة المعينة تحديداً دقيقاً لا تتبادر خلاله دلالة غيره من الكلمات المنتظمة في الحقل (الدلالي المعين).

- ولكي تتضح صورة الحقول الدلالية ، لابد من تقسيم هذه الحقول إلى ما يأتي:
- ١- حقل الموجودات : وهذا يعني حقل الأشياء المادية أو المحسوسات ككتاب . ودفتر ومنضدة وقلم وسيارة وجمل ونحوها من الألفاظ الدالة على الموجودات.
 - ٢- حقل الأفعال أو الأحداث : ويضم هذا الحقل الأفعال ك : مشى ، ونام ، وقرأ وتكلم واستمع وأكرم وغيرها من الألفاظ الدالة على الأفعال والحركات.
 - ٣- حقل المجردات أو المصادر : ويضم هذا الحقل ما يسمى في علم النحو مصادر الأفعال ، أو يسمى المجردات في علم الدلالة نحو : ضَرَبَ ، وَكَرَّمَ ، وَسَخَّاءَ ، وَقَعُودَ ، وَرَكَضَ ... إلخ
 - ٤- حقل الصفات : ويضم هذا الحقل ما كان صفةً أي ما ينعت به ويوصف ك : كريم ، وبخيل ، وبعيد وحاضر ، وغائب ونحوها كثير.
 - ٥- حقل الحروف أو الروابط : ويضم هذا الحقل ما اصطلح عليه أو على أغلبه بالحروف في علم النحو، أو ما اصطلح عليه بالروابط في علم الدلالة نحو: من ، وعن ، وأو ، وبين ، وتحت ، وفي ... إلخ
- وليست هذه الحقول الخمسة نهاية التقسيم ، بل " في كثير من الأحيان يضطر المرء إلى اتخاذ تصنيفات اعتباطية ولو بشكل جزئي ، والأمور ليست قطعية دائماً.

ولتوزيع الألفاظ على الحقول الدلالية ، لابد من اتخاذ الإجراءات الآتية

- ١- تحديد الحقول الدلالية الرئيسية
 - ٢- تفريع الحقول الدلالية الرئيسية إلى حقول فرعية ، مثال ذلك حقل الأمراض إذ يمكن أن يقسم إلى حقل فرعي خاص بأمراض القلب وجهاز الدوران ، وأمراض الجهاز التنفسي ، وحقل فرعي خاص بأمراض الجهاز الهضمي ، وحقل فرعي خاص بأمراض الجهاز العصبي ، وهكذا في حقل النبات.
 - ٣- توزيع الألفاظ على الحقول الفرعية وليس على الحقول الرئيسية.
- ويتفق أصحاب هذه النظرية على جملة مبادئ هي:
- ١- لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل، لا تنتمي الكلمة الى أكثر من حقل.
 - ٢- لا توجد كلمة لا تنتمي الى حقل دلالي معين.
 - ٣- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمات.

- ٤- لا تمكن دراسة الكلمات مستقلة عن تركيبها النحوي.
وقد وسع بعض الباحثين مفهوم الحقول الدلالية ليشمل أنواعا أخرى هي:
١- الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة.
٢- الأوزان الصرفية الاشتقاقية.
٣- أجزاء الكلمات وتصنيفاتها اللغوية.
٤- الكلمات التلاؤمية وتسمى (الحقول المنتجماية) وهي الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال دائما ولكنها لا تقع في الحقل المعجمي للكلمة الأصلية. فكل كلمة كلب في حقل الحيوان ترافقها دائما كلمة نباح وهي خارج حقل الحيوان لكنها ترافقها في الحقل التلاؤمي المنتجماي. وكلمة طائرة في حقل وسائط النقل ترافقها تلاؤميا كلمة مطار. وكلمة جامعة في حقل الأبنية التعليمية ترافقها تلاؤميا كلمات أستاذ جامعي وطالب وقاعة. وهكذا

إن الكلمات في اللغة أي لغة لا تكون على درجة واحدة في الأهمية ، ذلك أنه توجد كلمات تسمى أساسية ، وكلمات هامشية ، والمقصود بالكلمة الأساسية ما كانت ذات " تميز وبروز بالنسبة لغيرها في استعمال ابن اللغة. والكلمة الأساسية تكون ذات استعمال واسع ، أما الكلمة الهامشية ، فيكون استعمالها ضيقاً ، ومن ذلك لفظة الحمرة فإنها ذات حدود استعمالية غير ضيقة ، أما لفظة الشقرة ، فإنها ذات استعمال محدود يخص الشعر والبشرة . وكذلك الكلمات الأجنبية الحديثة الاقتراض من نوع الكلمات الهامشية ، والكلمة الأساسية لا تكون متضمنة المعنى في كلمة أخرى سوى الكلمة التي هي أم الحقل الدلالي ، ومن أمثلة الكلمات التي تكون متضمنة من حيث المعنى في كلمة أخرى كلمتا (زجاجة ، وقدح) إذ لا تكون هاتان اللفظتان متضمنتين من حيث المعنى في لفظة أخرى سوى كلمة (وعاء) التي هي أم الباب والتي تنضوي تحتها هاتان المفردتان أو غيرها من المفردات القريبة منها.

لقد أحصى أصحاب نظرية الحقول الدلالية علاقات يتم بموجبها تعيين قيمة الصيغة اللغوية داخل الحقل المعجمي، فقد أكد ستيفن أولمان ذلك بقوله: (الكلمة هي مكانها في نظام من العلاقات التي تربطها بكلمات أخرى في المادة اللغوية) ، هذه العلاقات تتمثل في الآتي:

١- علاقة الترادف:

وهي تعني أن الكلمتين أو أكثر بمنطق هذه النظرية تتضمن المكونات نفسها ولديها عناصر تصورية متماثلة، ويكون الترادف إذا كان هناك تضمن من مثل

(أب ووالد). ومثلهما (ابن وولد) وعليه تصنف الوحدات المعجمية بضمن حقول بمعيار الترادف.

٢. علاقة الاشتمال:

هي تشبه علاقة الترادف إلا أنها تضمن من جانب واحد يكون (أ) مشتملاً على (ب) حين يكون (أ) أعلى في التقسيم أو التفرعي مثل: (الإنسان وخالده).

٣. علاقة الجزء بالكل:

مثل علاقة اليد بالجسم والعجلة بالسيارة، والفرق بين هذه العلاقة وعلاقة الاشتمال أو التضمن واضح، فاليد ليست نوعاً من الجسم ولكنها جزء منه بخلاف خالده الذي هو نوع أو جنس من الإنسان وليس جزءاً منه. والسؤال الذي طرحه اللغويون في هذا المجال هو هل يتعدى جزء الجزء فيصبح جزءاً للكل؟...

والجواب أنه قد يتعدى جزء الجزء فينتج جزء كل وقد لا يتعدى.. فبالنسبة للحالة الأولى مثل (أظفار - أصابع) علاقة جزئية و (أصابع - يد) علاقة جزئية، أما علاقة الجزء بالكل فهي (أظفار - يد). أما الحالة الثانية مثل: (مقبض - باب) علاقة جزئية، و (باب - دار)، علاقة جزئية ولكن لا علاقة جزئية بين (مقبض - دار) وينسحب هذا المثال على أنواع كثيرة من العلاقات.

٤. التضاد: وهو أنواع:

أ. التضاد الحاد: ويسمى التضاد غير المتدرج مثل (حي - ميت) فهما كلمتان متقابلتان في الدلالة ونفي أحد طرفي التقابل يعني الاعتراف بالآخر.

ب. التضاد المتدرج: ويصفه المنطقة بأن الحدين فيه لا يستنفدان كل عالم المقال، ولذا فإنهما قد يكذبان معاً، بمعنى أن شيئاً قد لا ينطبق عليه أحدهما، إذ بينهما وسط، فقولنا: الحساء ليس ساخناً لا يعني الاعتراف ضمناً بأنه بارد فربما يكون فاتراً أو دافئاً أو ما إلى ذلك..

ج. تضاد التضايف: ويسميه المنطقة "الإضافة"، وهي نسبة بين معنيين كل منهم مرتبط بإدراك الآخر كإدراك الأبوة والبنوة، فإن أحدهما لا يدرك إلا مع إدراك الآخر..

د. علاقة التنافر: أو ما يطلق عليه في علم المنطق بعلاقة التخالف وهي النسبة بين معنى ومعنى آخر من جهة إمكان اجتماعهما وإمكان ارتفاعهما، مع